مجلة المجمع العلمي

مجلة المجمع العلمي

شبكة كتب الشيعة
shiabooks.net
mktba.net رابط بديل

حماد الراوية : آثاره وآراؤه النقدية وأخباره

الدكتور عبد اللطيف حمودي الطائي

كلية الآداب ــ جامعة بغداد

الملخص :

حماد الراوية المكنى بأبي القاسم ، هو كبير رواة الشعر العربي في الجاهلية وصدر الإسلام والعصر الأموي ، فضلا عن كونه شيخ رواة مدرسة الكوفة الأدبية ، منحه الله لسانا لافظا ، لكثرة ما كان يحفظ ويروي ، فقد قال : أحفظ أكثر من ألفين وتسعمائة قصيدة لشعراء جاهليين سوى المقطعات ، سوى ما يحفظ من شعر صدر الإسلام والعصر الأموي ، وأضاف أنه يحفظ أكثر من سبعمائة قصيدة مطلعها جميعا (بانت سعاد ...) ولما كان حماد الراوية على هذا القدر الكبير من الحفظ ، فأنه صنف عدة كتب منها : أشعار العرب ودون فيه كل ما يحفظ من أشعار الجاهلية ، وأشعار الرباب ، وللأسف الكتابان ضمن الكتب المفقودة ، واختار المعلقات وبإسمه اقترنت وهي قيد التداول ، وديوان شعر أمرئ القيس ، وديوان زهير بن أبي سلمى ، وهما قيد التداول ، وزيادة على ذلك كانت له آراء نقدية صائبة مبثوثة في بطون الكتب والمصادر وله أخبار يتداولها الرواة والنقاد وكلها تتعلق بالأدب العربي لذلك كان حماد الراوية يمثل أحد أبرز الرواة قلبا حافظا ، وفكرا ثاقبا ، ولم يلقب أحد من رواة الشعر العربي بالراوية غيره ، وذلك القنوات التي وصل من خلالها الأدب العربي من مرحلة الرواية الشفوية إلى عصر الكتابة والتدوين .

المقدمـــة :

حماد الراوية : هو حماد بن سابور بن المبارك بن عبيد المكنى بأبي القاسم[١] ، وقال ابن قتيبة[٢] : (إنه حماد بن هرمزان) ، فيما قـــال يـــاقوت الحموي[٣] : (إنه حماد بن ميسرة بن المبارك بن عبيد الديلمي ، مولى بنـــي بكر بن وائل ، وقيل مولى مكنف بن زيد الخيل) ، وقـــال الأصـــمعي[٤] : (قلت لحماد ممن انتم ؟ قال : كان أبي من سبي سلمان بن ربيعة ، فطرحنا لبني شيبان ، فولاؤنا لهم ، وأضاف الأصمعي وكان أبوه يـــسمى ميـــسرة ، ويكنى أبا ليلى) ، وبذلك فأن حماد الراوية ينحدر من أصل غيـــر عربـــي ، فهو من قبيلة الديلم الفارسية ، ولكن ثقافته عربية إســـلامية ، وهـــو عربـــي بالولاء ، لكونه مسلما ينطق بالشهادتين (لا إله إلا الله ، محمد رســـول الله) ويتكنى بأحلى الكنى ، كنية رســـول الله محمـــد (صـــلى الله عليـــه وآلـــه وصحبه وسلم) (أبو القاسم) ، وقد منحه الله سبحانه وتعالى : لسانا لافظا ، وقلبا حافظا ، وفكرا ثاقبا حتى أصبح أشهر رواة الشعر العربي ، فهو كبيـــر رواة الشعر العربي ، وراويته الأول ، ولم يلقب أحد من رواة الشعر العربي بالراوية غيره ، وذلك لكثرة ما كان يحفظ ويروي ، وقد سأله الوليد بن يزيد قائلا[٥] : (بم استحققت هذا اللقب ؟ فقيل لك حماد الراويـــة ؟ قـــال : بـــأني أروي لكل شاعر تعرفه يا أمير المؤمنين ، أو سمعت به ، ثم أروي لأكثـــر منهم ممن تعرف أنك لم تعرفه ، ولا تسمع به ، ثم لا أنشد شـــعرا قـــديما أو

---

[١] الفهرست : ١٠٤ .

[٢] المعارف : ٣٣٣ .

[٣] معجم الأدباء والمؤلفين : ١٠ / ٢٦٠ .

[٤] الأغاني : ٦ / ٦٨ .

[٥] الأغاني : ٦ / ٦٨ ــ ٦٩ ، معجم الأدباء والمؤلفين : ١٠ / ٢٦٠ .

محدثا إلا ميزت القديم منه من المحدث ، قال إن هذا لعلم وأبيك كثير! ، فكم مقدار ما تحفظ ؟ قال : كثير ، ولكني أنشدك على أي حرف من حروف المعجم مائة قصيدة كبيرة سوى المقطعات من شعر الجاهلية ، دون شعر الإسلام ، قال سأمتحنك في هذا ، وأمره بالإنشاد ، فأنشد الوليد حتى ضجر ، ثم وكل به من استخلفه أن يصدقه عنه ويستوفي عليه ، فأنشده ألفين وتسعمائة قصيدة للجاهليين ، وأخبر الوليد بذلك ، فأمر له بمائة ألف درهم) . وفي رواية ثانية قال الوليد بن يزيد لحماد [٦] : (أنت حماد الراوية ؟ فقلت له : إن الناس ليقولون ذلك ، قال فما بلغ من روايتك ؟ قلت أروي سبعمئة قصيدة أول كل قصيدة منها : بانت سعاد ، فقال : إنها لرواية !) وقبل ذلك كان حماد الراوية في شبابه مصاحبا للصوص ويشاطرهم أفعالهم ، وفي ذات ليلة سطا على بيت أحد أبناء الأنصار فاخذ ماله وكان فيه جزء من شعر الأنصار ، فقرأه حماد واستحلاه وتحفظه ، وبعد هذه الحادثة طلب الأدب والشعر وأيام الناس ولغات العرب ، وترك ما كان عليه ، فبلغ ما بلغ في العلم [٧] وكان ذلك الشعر نقطة التحول في حياته إذ تحول من اللصوصية إلى رواية الشعر بعد أن ثاب إلى رشده وتاب إلى ربه سبحانه وتعالى ، وعبر قناة حماد في الرواية ، وصل إلينا معظم الشعر العربي من عصر الرواية الشفوية إلى عصر التدوين ، ومع ذلك لم يكن حماد الراوية مجرد راوية ناقلا للشعر ، بل كان ناقدا مقدما وذواقة لفن الشعر ، يعجبه الشعر الجيد فيرويه ، وله فيه أحكام نقدية ، مبثوثة في أثناء المصادر ، فضلا عن كونه كان أعلم

---

[٦] م . ن : ٦ / ٨٧ .

[٧] م . ن : ٨٣ .

الناس في أخبار العرب وأنسابها وأشعارها وأيامها[٨] ، ومحمد بن سلام يؤيد هذا الرأي ويرويه ولكن بطريقته الخاصة[٩] : (أول من جمع أشعار العرب وساق الأحاديث حماد الراوية ، وكان غير موثوق ، وكان ينحل شعر الرجل غيره ويزيد في الأشعار) . فالشطر الأول من حديث ابن سلام صحيح مائة بالمائة وهو كلمة حق يراد بها باطل ، وابن سلام لا يريد الأمر أن يمر مرور الكرام من غير أن يقدح على حماد الراوية فأضاف الشطر الثاني من الحديث ، وهو بذلك يدس السم بالعسل ، والله أعلم ، وما قال به ابن سلام لا يمكن الأخذ به لأن أبا أحمد الحسن بن عبد الله العسكري روى ما نصه [١٠] : (لم يكن نقادنا يحسنون قول الشعر كالخليل بن احمد وحماد الراوية والأصمعي) . ، وحماد الراوية من الشعراء الوسط ، لا يرقى شعره إلى مستوى الفحول فكيف إذا يقول الشعر وينسبه لغيره من الشعراء الفحول ؟ وحماد الراوية حينما يروي القصائد ، يذكر أسباب نظمها ، والأحداث التي رافقت إنشاده في مسعى يظهر وثاقة روايته ، فهو إذا يوثق الحدث من طرفيه الحدث الشعري ومحيطه الذي يؤكد أحداثه التي إتصلت به وانبثق هو منها صدقا وواقعا يقنع المتلقي والناقد ، لذلك كانت مروياته تلقى قبولا حسنا عند النقاد والرواة ، ولم يكتف حماد برواية الشعر، بل قام بتدوينه في الرقوق والقراطيس حتى صنع مكتبة ضخمة ضمت كل ما كان يحفظ ويروي ، لذلك كانت له عدة مصنفات في الشعر ، كانت تمثل المصدر الرئيس الذي نهل منه الرواة عندما كتبوا مصنفاتهم ، ومجاميعهم الشعرية ، وسأسوق مثالين على

---

[٨] م . ن : ١٠ / ٢٦٥ .

[٩] طبقات فحول الشعراء : ١ / ٤٨ ، حلية المحاضرة : ١ / ٣٥ .

[١٠] المصون في الأدب : ٥ .

ذلك ، فقد روى أن الوليد بن يزيد عندما أراد أن يجمع أشعار العرب وأخبارها وأنسابها ولغاتها في ديوان موحد ، استعار من حماد ما كان بحوزته من الرقوق والقراطيس فدونها عنده ومن ثم أعادها إليه [١١] ، وأما المثال الثاني فهو أن مكتبته كانت عامرة بكتب الأدب والأنساب وأيام العرب ولغاتها ، فقد قال حماد الراوية [١٢] : (أرسل الوليد بن يزيد إلي بمائتي دينار ، وأمر يوسف بن عمر بحملي إليه على البريد ، قال : فقلت لا يسألني إلا عن طرفيه قريش وتثقيف (أعمامه وأخواله) فنظرت في كتاب قريش وثقيف ، فلما قدمت عليه سألني عن أشعار بني ، فأنشدته منها ما استحسنه) .

مصنفات حماد الراوية الشعرية

أولا : أشعار العرب

هو كتاب عام دوَّن فيه كل ما كان يحفظ ويروي من الشعر الجاهلي ، فقد مع ما فقد من كتب التراث الأدبي ، وكان الكتاب متداولا بين أيدي الرواة والنقاد ، منذ ظهوره الأول على مسرح رواية الشعر العربي الجاهلي وقد أشارت إلى ذلك المصادر القديمة ومنها ما يأتي :

أ ـ نسخة من الكتاب كانت عند العالم الراوية أبي العباس ثعلب ، دلت عليها روايته لقصيدة زهير بن أبي سلمى ذات المطلع [١٣] :

ويوم تلافيت الصبا أن يفوتني برحب الفروج ذي مجال موثق

---

(١١) الفهرست : ١٠٣ .

(١٢) الأغاني : ٦ / ٩٤ .

(١٣) شعر زهير بن أبي سلمى : ٢٥٨ الهامش الثالث ، شرح ديوان زهير بن أبي سلمى : ٢٤٥ .

فقد قال محقق ديوان زهير [١٤] : (هذه القصيدة رواها ثعلب نقلا عن كتاب حماد) .

٢ــ نسخة من الكتاب عند صعوداء ، ففي شرحه للبيت الثاني من القصيدة : [١٥]

سديس كبارى تئط نسوعه أطيط رتاج ذي مسامير مغلق

قال صعوداء [١٦] : (الرواة على كبارى بالباء ، فقال حماد : كبارى كبير ضخم ، كذلك قرأته في كتابه وبخطه) ، وهذا يعني أن النسخة التي كتبها حماد الراوية بيده كانت بحوزة العالم الراوية صعوداء .

٣ــ نسخة أخرى من الكتاب بحوزة العالم الراوية هشام بن محمد الكلبي ، فقد ذكر حين أورد قصيدة لعامر بن طفيل العامري فقال [١٧] : (أصبتها في كتاب حماد خلاف روايتنا) .

٤ــ نسخة من الكتاب عند ابن الشجري ذكرها عند شرحه شعر الحطيئة قال[١٨] : (وفي كتاب حماد الراوية زيادة في هذا الموضع بيتان) وهذا يعني أنه كان يقرأ في كتاب حماد الراوية فوجد الزيادة .

٥ــ ذكر ابن الشجري خبرا مفاده أن أبا حاتم السجستاني قال [١٩] : (في

---

[١٤] شرح ديوان زهير بن ابي سلمى : ٣١٣ ، (ولم يروها المفضل من كتاب حماد ، وقرئت على أبي عمرو الشيباني) ولم يعرض عليها ، مما يؤكد صحة روايتها ، وفي الوقت نفسه يؤكد أن المفضل الضبي كانت عنده نسخة من كتاب حماد .

[١٥] شعر زهير بن أبي سلمى : ٢٥٨ .

[١٦] شرح ديوان زهير بن أبي سلمى : ٢٤٦ .

[١٧] ديوان المفضليات برواية ابن الأنباري : ٣٣ .

[١٨] مختارات أشعار العرب : ٤٤١ .

[١٩] م . ن : ٤٥٦ .

كتاب حماد زيادة بعد هذا البيت أربعة أبيات) وذلك خلال روايته لإحدى قصائد الحطيئة ، وهذا يعني أن السجستاني كان يمتلك نسخة من كتاب حماد ، يقرأ فيها ويسد ما في روايته من نقص .

ثانيا : أشعار الرباب

الرباب تجمع قبلي ينحدر من أصل واحد ، وتجمع الرباب ضم كل من : تيم وعدي وعكل ومزينة وضبة ، وإنما سموا بالرباب لأنهم تحالفوا فقالو : اجتمعوا كاجتماع الربابة [٢٠] ، ففي القرن الهجري الثاني نشط العلماء والرواة ودونوا أشعار القبائل ، فذكر الآمدي في كتابه المؤتلف والمختلف أكثر من ستين ديوانا للقبائل العربية ، وقد أحصاها الدكتور ناصر الدين الأسد في كتابه مصادر الشعر الجاهلي [٢١] ، كما كتب السكري أكثر من ثلاثين ديوانا ذكرها ابن النديم في الفهرست [٢٢] ، أما أبو عمرو الشيباني فقد كتب بخط يده أكثر من ثمانين ديوانا[٢٣] ، كما أسهم العلماء والرواة الآخرون بكتابة دواوين أخرى وجمعها[٢٤] ، فيما صنع المفضل الضبي وحماد الراوية ديوان الرباب ، والديوان ذكره الآمدي مع ما ذكر من دواوين القبائل في قوله [٢٥] : (ووجدت في أشعار الرباب عن المفضل وحماد الراوية) وهذا يعني أن

---

[٢٠] الإشتقاق : ١٨٠ .

[٢١] مصادر الشعر الجاهلي : ٥٤٣ ــ ٥٤٤ .

[٢٢] الفهرست : ٢١٠ ، ٨٦ .

[٢٣] نزهة الألباء : ٩٤ ، الفهرست ٧٥ .

[٢٤] خزانة الأدب ١ / ٢٧٥ حيث صنع الأصمعي ديوان هذيل ، فيما صنع محمد بن حبيب أشعار بني شيبان ، خزانة الأدب : ١٠ / ٩٣

[٢٥] المؤتلف والمختلف : ٢٢ .

الآمدي كان يمتلك نسخة من الديوان ، ولست أدري أكانت صناعة الديوان مشتركة بين المفضل وحماد ! فإن صح ذلك ، فهو يعني أنه كان بينهما تعاون مشترك في رواية الشعر ، ونحن نقدح بهما ! أم أن كل واحد منهما صنع نسخة ، ذلك لأن عبارة الآمدي مبهمة وغامضة وتحمل الوجهين ، والكتاب هو الآخر وللأسف مفقود .

ثالثا : كتاب القصائد المشهورات

وهو كتاب المعلقات السبع التي اختارها حماد الراوية ، فقد قال ابن الأنباري[٢٦] : (إن جمادا الراوية لما رأى زهد الناس في حفظ الشعر ، جمع هذه السبع ، وحضهم عليها ، وقال لهم : هذه المشهورات) ومصطلح المشهورات ـــ أول اسم عرفت به المعلقات ـ وحماد الراوية هو أول من أطلقه ، وبهذا الاسم اشتهر كتاب المعلقات السبع ، وهي أشهر قصائد الشعراء الجاهليين وأعظمها شأنا وأعلاها منزلة في أدبهم وتاريخهم[٢٧]، أما ابن النحاس فقد قال[٢٨] : (إن حمادا هو الذي جمع السبع الطوال) ، وكذلك مصطلح الطوال هو من بنات أفكار حماد الراوية ، وقد أخذ معظم رواة المعلقات برواية حماد الراوية .[٢٩]

رابعا : ديوان امرئ القيس

جمع شعر امرئ القيس كل من الرواة ((حماد الراوية وأبو عمرو الشيباني ، والمفضل الضبي وخالد بن كلثوم والأصمعي ومحمد بن حبيب وأبو العباس الأحول وابن السكيت) ثم صنعه في رواية موحدة من جميع

---

[٢٦] معجم الأدباء والمؤلفين : ٤ / ١٤٥ ، وفيات الأعيان : ٢ / ٢٠٥ .

[٢٧] شرح القصائد العشر المذهبات : ٥ .

[٢٨] شرح القصائد التسع المشهورات : ٦٨٢ ، معجم الأدباء والمؤلفين : ١٠ / ٢٦٦ .

[٢٩] الأنباري وابن الأنباري ، ابن النحاس ، الزوزني ، التبريزي ... الخ .

الروايات أبو سعيد السكري ، وكان حماد الراوية هو الراوية الأول وعنه أخذ الرواة الآخرون شعر امرئ القيس ، وقد أكد هذه الحقيقة العالم الراوية الأصمعي في قوله[٣٠] : (كل شيء في أيدينا من شعر امريء القيس فهو عن حماد ، إلا نتفا سمعتها عن أعراب ، وأبي عمرو بن العلاء) ، وعند العودة إلى الديوان الذي حققه محمد أبو الفضل إبراهيم ، نجد أن الأصمعي صادق فيما قال وروى إذ لم ترد في الديوان رواية لأبي عمرو إلا في ثلاثة مواضع هي :

١ـ في القصيدة الحادية عشرة وهي تتكون من ثلاثة عشر بيتا ، فقد قال ابن النحاس أنشدها الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء [٣١] .

٢ـ في القصيدة الثانية عشرة وهي تتكون ثلاثة عشر بيتا ، وقال الأصمعي : سمعت أبا عمرو بن العلاء يقول : رؤبة بن العجاج أنشد من هذه القصيدة أبياتا [٣٢] .

٣ـ في القطعة المرقمة بالسابعة والعشرين وهي تتكون من ثمانية أبيات ، كان الأصمعي يحدث عن أبي عمرو بن العلاء ، وانه سأل ذا الرمة فقال : أي الشعراء الذين وصفوا الغيث أشعر ؟ فقال : قول امرئ القيس ، فقال أبو عمرو فأنشدني قوله [٣٣] :

ديمة هطلاء فيها وطف طبق الأرض تحري وتدر

وفيما عدا ذلك لم أجد لأبي عمرو رواية في ديوان امرئ القيس ،

---

(٣٠) مراتب النحويين : ٧١ .

(٣١) ديوان امرئ القيس : ٤٠٢ .

(٣٢) م . ن : ٤٠٤ .

(٣٣) م . ن : ١٤٤ .

باستثناء قول الأصمعي[٣٤] : (قال أبو عمرو بن العلاء : كان امرؤ ألقيس معنا ضليلا ينازع كل من ادعى الشعر) ، ثم ساق خبره مع التؤم اليشكري ، إذ كان امرؤ القيس يقول الشطر الأول ، فيما يقول التؤم اليشكري الشطر الثاني :

قال امرؤ القيس :

أحار ترى بريقا هب وهن

فأكمل التؤم اليشكري البيت قائلا :

كنار مجوس تستعر استعارا

إلى آخر الخبر ...

وبذلك تكون رواية شعر امرئ القيس كلها مأخوذة عن حماد الراوية ، كما قال الأصمعي .

خامسا : ديوان زهير بن أبي سلمى

شعر زهير بن أبي سلمى جمعه حماد الراوية وعنه نقله الرواة الآخرون ، ففي ديوان زهير الذي جمعه وشرحه أبو العباس ثعلب [٣٥] إشارات صريحة إلى ذلك وكذلك في شعره الذي جمعه الأعلم الشنتمري [٣٦] وقد كتبت بحثا حمل عنوان ((شعر زهير بن أبي سلمى في مرويات حماد الراوية)) ، وقد نشرته في مجلة المورد [٣٧] ، بإمكان القارئ

---

[٣٤] م . ن : ١٤٧ .

[٣٥] شرح ديوان زهير بن أبي سلمى : ينظر الصفحات : ٦٢ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٣١١ ، ٣١٣ ، ٣٢٦

[٣٦] شعر زهير بن ابي سلمى : ينظر الصفحات : ٤٥ ، ٥٨ ، ٦٣ ، ٦٥ ، ٧٨ ، ١٤٤ ، ١٢٢ ، ١٦٧ ، ٢٣٥ ، ٢٣٩ ، ٢٤٢ ، ٢٥٨ .

[٣٧] مجلة المرد ، المجلد الرابع والثلاثون ، العدد الثالث ، لسنة ٢٠٠٧م .

الكريم الإطلاع عليه للاستفادة من المعلومات التي جاءت فيه .

آراؤه النقدية :

كانت معظم الآراء النقدية في تلك المرحلة تمثل نوعا من النقد الانطباعي ومعياره الذوق الأدبي لصاحب الحكم ، فالعرب كانت تقول : هذا أمدح بيت ، وذلك أغزل بيت ، وهذا أفخر بيت ، وذاك أهجى بيت ، وهذا الشاعر أشعر من ذاك ، وفلان أشعر من فلان ، وهذه الأحكام آنية تطلق بسرعة ، وسرعان ما تتبدل بعض الأحكام بعد مدة زمنية وجيزة ، ولم يخرج حماد الراوية في كثير من الأحيان عن هذا اللون ، إلا أن الملاحظة ــ على الرغم من كون إحكامه كانت انطباعية ــ إلا أنها متطورة ، إذ كان يلحقها بسبب معلل يؤيد صحة ما يقول ، فمن ذلك ما روي عنه حينما زار البصرة [٣٨] ، وحل ضيفا على مجلس بلال بن أبي بردة ، فسأله رجل من الجالسين : من أشعر الناس ؟ فأجاب حماد الراوية الذي يقول [٣٩] :

رمتني بنات الدهر من حيث لا أرى فما بال من يرمي وليس يرام

فقد حكم حماد الراوية لعمرو بن قميئة على وفق ذوقه الشخصي وإعجابه بهذه القصيدة ، وكلنا يعرف أن عمرا بن قميئة هو رأس الطبقة الثامنة في طبقات فحول الشعراء الجاهليين عند ابن سلام ، فضلا عن كونه من الشعراء المجيدين المقلين ، ولا يرقى مستوى شعره إلى مستوى شعر امرئ القيس والنابغة الذبياني وزهير بن أبي سلمى والأعشى وغيرهم .

لحماد الراوية رأي نقدي آخر عن أشعر الشعراء ، فقد بعث المنصور العباسي يحيى بن سليم الكاتب إلى حماد الراوية يسأله عن أشعر الشعراء ،

---

[٣٨] الأغاني : طبعة ساسي : ١٦ / ١٥٩

[٣٩] ديوان عمرو بن قميئة : ٣٨ .

فأجاب : ذاك الأعشى صناجتها [٤٠] . والنقاد والرواة كافة يجمعون على أن الأعشى هو رابع طبقة الفحول الأولى بعد امرئ القيس والنابغة الذبياني وزهير بن أبي سلمى ، ولكن هذا هو ذوق صاحب الحكم حماد الراوية .

ومن آراء حماد الراوية النقدية المهمة قوله [٤١] : (أحسن الجاهلية تشبيها امرؤ القيس ، وذو الرمة أحسن أهل الإسلام) ، هذا الحكم لم يطلقه حماد الراوية جزافا إلا بعد إطلاع تام على كل أشعار العرب الجاهليين والإسلاميين على حد سواء ، وقد أجمع العلماء النقاد والرواة على صحة هذا الحكم من خلال رواية محمد بن سلام الجمحي الذي أورد النص السابق حرفيا ، إلا أنه لم يقل : قال حماد الراوية ، وإنما قال [٤٢] : (كان علماؤنا يقولون : أحسن الجاهلية تشبيها امرؤ القيس ، وأحسن أهل الإسلام ذو الرمة) ، والعلماء في حقيقة الأمر قالوا برأي حماد الراوية ، ولكن عصبية ابن سلام المفرطة لأهل البصرة منعته من إسناد الرأي لصاحبه .

وعندما أراد معاوية بن بكر الباهلي وهو من رواة الشعر ، معرفة أسباب تقديم النابغة الذبياني على غيره من الشعراء ، لم يجد غير حماد الراوية ليسأله عن سبب ذلك ، فقد قال [٤٣] : (عمر بن شبة : قال معاوية بن بكر الباهلي : قلت لحماد الراوية : بم تقدم النابغة ؟ قال: باكتفائك بالبيت الواحد من شعره ، لا بل نصف بيت ، لا بل ربع بيت :

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة وليس وراء الله للمرء مذهب [٤٤]

---

[٤٠] الأغاني : ٩ / ١١٠ .

[٤١] الأغاني ١٨ / ٩ ، خزانة الأدب : ١ / ١٠٧ .

[٤٢] طبقات فحول الشعراء : ١ / ٥٥ .

[٤٣] الأغاني : ١١ / ٧ ـ ٨ .

[٤٤] ديوان النابغة الذبياني : ١٧ .

ألا ترى أن هذا الحكم صادر عن بصيرة نافذة في النقد ، وإحاطة واسعة بأشعار العرب ، حتى يتسنى له إطلاق مثل هذا الحكم ، والنقاد والرواة يؤيدون صحة ذلك .

وهناك رأي نقدي آخر لحماد الراوية ، يتمثل في إعجابه بشعر الحطيئة الشاعر المخضرم ، الذي لم يأخذ مكانته الأدبية الطبيعية عند النقاد والرواة ، الذين أهملوا شاعريته وتمسكوا بنسبه المغموز فأراد حماد أن يجعل الرجل في مكانه الذي يستحق بين فحول الشعراء فقال [٤٥] : (أما أني ما أزعم أن أحدا بعد زهير أشعر من الحطيئة) ، ألا ترى أن حمادا الراوية وضع الحطيئة بعد زهير وليس بعد امرئ القيس أو النابغة وهم فحول الطبقة الجاهلية الأولى ذلك لأن زهيرا ثالث الطبقة ، وقريبا من هذا الرأي كان ابن سلام حينما وضع الحطيئة في الطبقة الجاهلية الثانية ، وهذا يعني ومن خلال الرأيين السابقين أن محمدا بن سلام الجمحي متأثر بروايات حماد الراوية ، إلا أنه يكابر ولا يريد الإعلان عن هذا التأثر لعصبيته المفرطة لأهل البصرة .

قال حماد الراوية [٤٦] : (إن ابن قيس الرقيات رقيق حواشي الشعر) . وهذا الرأي صحيح لأن ابن قيس الرقيات كان يتغزل برقة متناهية بمحبوبات كلهن يعرفن باسم رقية لذلك عرف بابن قيس الرقيات والرأي يتطابق مع الشعر وما يتداوله الرواة .

ومن آراء حماد النقدية [٤٧] أنه كان يقدم الأخطل على غيره من

---

[٤٥] شرح ديوان زهير بن أبي سلمى : ٣٢٥ .

[٤٦] شرح الكافية : ٤ / ٤٨٧ ، شرح شواهد المغني : ١٢٧ .

[٤٧] الأغاني : ٨ / ٢٨٥ ، ٨ / ٣٠٥ .

شعراء طبقته وعصره ، وقد أيد هذا الرأي خصمه اللدود يونس بن حبيب الضبي [٤٨] ، وكذلك أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي [٤٩] ، وهذا اللون من النقد يدخل في باب الأحكام النقدية الانطباعية ، ومعيارها الذوق الشخصي لصاحب الحكم .

روى حماد الراوية شعر ثعبلة بن عمرو الشيباني [٥٠] ، وكذلك رواه كل من المفضل الضبي والأصمعي وفي المواضع التي كانت تذكر فيها رواية حماد تكون هي الأجود ، ففي البيت السابع من قصيدته ذات المطلع : [٥١]

أ أسماء لم تسألني عن أبيـ ..... ك والقوم قد كان فيهم خطوبُ

روى المفضل الضبي :

فأعددت عجلى لحسن الدوا.... ء ولم يتلمس حشاها طبيبُ

أما رواية الأصمعي فكانت :

فأردفته كصفاة المسيـ .... ل لم يتلمس حشاها طبيبُ

فيما كانت رواية حماد الراوية :

وأعددت عجلي لنقع الصبا.... ح ولم يتلمس حشاها طبيبُ

عجلى : فرس الشاعر ، والنقع : الصوت ، فلو أمعنت النظر في الروايات الثلاث لرأيت أن المفضل أراد إن يقول أن الفرس لم تكن مريضة لذالك هي لم تعرض على طبيب ، والأصمعي أراد أن تلك الفرس مثل الصخرة تشرب الماء فتصيبها الشمس فتصلبها ، أما حماد الراوية فقال أن الفرس معدة للإشتراك في التصدي للغارات الصباحية عندما يأتي الصريخ

---

[٤٨] أمالي اليزيدي : ٨٠ ، الأغاني : ٨ / ٢٨٣ .

[٤٩] الأغاني : ٨ / ٥ .

[٥٠] شرح اختيارات المفضل الضبي : ١١٣٣ ــ ١١٣٤ .

[٥١] م . ن : ١١٣٠ .

مناديا واصباحاه وهي فرس قوية لم تمرض يوما ولم تعرض على طبيب ، والسؤال هنا لم يهيئ الفارس فرسه ؟ أليس للغازات أو صد الغارات وهذا المعنى هو الذي ذهب إليه حماد ، إما البيت الحادي عشر من القصيدة فقد رواه المفضل والأصمعي :

أحال كفه بها مدبرا وهل ينجيك شدٌ وعيبُ ؟

فيما روى حماد البيت كالأتي :

أحال بها كفه مدبرا وهل ينجيك ملعٌ وعيبُ ؟

أراد الرواة الثلاثة القول أن هذا الفارس لوى عنان فرسه الذي كان يمسكه بيده الشمال ، ولى هاربا ، وهل هذا الهرب ينجي صاحبه مهما كانت سرعته . فالشد عند المفضل والأصمعي هو الضغط على الفرس لكي تسرع ، أما الملع عند حماد الراوية أن الفرس كانت مسرعة من غير أن تتعرض للضغط من فارسها وهذا هو الذي ذهبت إليه أم جندب حينما حكمت لعلقمة على زوجها امرئ القيس في القصة المعروفة ، لذلك كانت رواية حماد هي الأجود .

ومثل هذا الرأي قال به ابن الشجري وذلك حينما روى الأصمعي البيت التاسع من القصيدة السينية التي هجا فيها الزبرقان بن بدر [٥٢] ، ورواية البيت كما يأتي :

٩ــ ما كان ذنب بغيض لا أبا لكم في بائس جاء يحدو آخر الناس

فيما كانت رواية حماد الراوية :

٩ــ ما كان ذنب بغيض أن رأى رجلا ذا فاقة حل في مستوعر شاس

---

[٥٢] ديوان الحطيئة : ٤٤ ــ ٥٢ .

فعلق ابن الشجري على الروايتين قائلا [٥٣] : (ورواية حماد أجود لئلا يتكرر الناس في القافية فيكون إيطاء قبيحا) ، وفعلا بعد أربعة أبيات تجيء الناس قافية للبيت الخامس عشر :

١٥ــ من يفعل الخير لا يعدم جوازيه لا يذهب العرف بين الله والناس

وكل روايات الديوان أخذت برواية حماد وأثبتتها ، وأهملت رواية الأصمعي ، لأنها هي الأجود والأفضل .

أخباره :

حماد الراوية من العلماء الموسوعيين فهو في الشعر راوية وناقد كما مر بنا وفضلا عن ذلك فهو إخباري ونسابة وعالم بأيام العرب ، والذي يهمنا هنا في هذا المقطع من البحث كون حماد الراوية إخباريا ، ذلك لأهمية الأخبار التي يرويها وينقلها ، وأخباره معتمدة وموثقة عند النقاد والرواة كافة فعنه اخذوا خبر زهير بن أبي سلمى مع خاله الشاعر بشامة بن الغدير فقد قال حماد الراوية[٥٤] : (ذكروا أن بشامة الغدير وكان أشعر غطفان في زمانه ، وكان زهير معجبا بشعره ، وكان رجلا مقعدا ، ولم يكن له ولد ، وكان كثير المال ، ومن أحزم الناس رأيا ، فكانت غطفان إذا أرادوا أن يغيروا ، أتوه فأمروه واستشاروه ، فصدروا عن رأية ، فإذا انصرفوا قسموا له مثلما يقسمون لأفضلهم ، فمن أجل ذلك كثر ماله ، فلما حضره الموت ، جعل يقسم ماله في أهل بيته وبني إخوته ، فأتاه زهير فقال : ياخالاه لو قسمت لي من مالك ! قال : قد قسمت لك أفضل ذلك وأجزله ، قال : ما هو ؟ قال شعري ورثتنيه ، وكان زهير قبيل ذلك قال الشعر ، وكان أول ما

---

[٥٣] مختارات أشعار العرب : ٤٢١ .

[٥٤] شرح ديوان زهير بن ابي سلمى : ٣٢٥.

قال ... قال : فمن أين جئت بهذا الشعر ! لعلك جئت به من مزينة ! قد علمت العرب أن حصاتها وعين مائها في الشعر هذا الحي من غطفان) .

هذا الخبر وقصته ساقه حماد الراوية وعنه أخذه النقاد والرواة وتناقلوه ، ولم يعترضوا عليه فهم يتداولونه فيما بينهم بثقة مطلقة ، وهو عندهم من الأخبار الموثقة التي لا غبار عليها ، ولم يروِ هذا الخبر قبل حماد الراوية أحدٌ من الرواة .

وكذلك اخذ الرواة من حماد الراوية قصة علقمة بن عبده وقريش ، ومفاد القصة وخبرها ان حمادا الراوية روى [٥٥] : (كانت العرب تعرض أشعارها على قريش ، فما قبلوه منها كان مقبولا ، وما ردوه منها كان مردودا ، فقدم عليهم علقمة بن عبده فأنشدهم قصيدته التي يقول فيها :

هل ماعلمت وما استودعت مكتوم أم حبلها إن نأتك اليوم مصروم

فقالوا : هذه سمط الدهر ، ثم عاد إليهم العام المقبل فأنشدهم :

طحا بك قلب في الحسان طروب بعيد الشباب عصر حان المشيب

فقالوا : هاتان سمطا الدهر) . ، والخبر يتناقله النقاد والرواة من جيل الى جيل ولم يعترض احدا على صحته ، وهذا يدل على إجماعهم على صحته ، ولو لم يكن صحيحا لطعنوا في صحته وصحة روايته إلا أن مثل هذا لم يحدث ، وفي السياق نفسه نقل لنا حماد الراوية خبرا مفاده ان قريشا كانت تعد زهير بن أبي سلمى أشعر الناس ، فقال حماد الراوية [٥٦] : (لم أدرك أحدا من أهل العلم من قريش يفضل على زهير أحدا من الناس في الشعر ، وكان زهير يقول : ما أنا بأشعر من النابغة ، والعرب يفضل كل قوم

---

[٥٥] الاغاني : ٢٠١/٢١ .

[٥٦] شرح ديوان زهير بن ابي سلمى : ٨٦ ، ٣٢٦ .

شاعرهم غير قريشا قد اتفقت على تفضيل زهير والنابغة) . ، فلو قرأنا النص ثانية سنجد أن حمادا الراوية يعبر عن نفسه ويؤكد أنه هو لم يدرك وليس غيره ، والجانب الآخر من القول هو أن قريشا هي التي تفضل وليس حماد الراوية وهذا التفضيل متفق عليه عند النقاد والرواة كافة ولا خلاف فيه ، فضلا عن اعتراف زهير نفسه بانه ليس أشعر من النابغة الذبياني وهذا حق قال به كل أصحاب الطبقات [٥٧] ، وكذلك قال به الأصمعي [٥٨]، والمقطع الأخير من الخبر صحيح مائة بالمائة إذ إن العصبية عند العرب كانت قائمة حتى في الشعر ولو اضطروا إلى الوضع ، لتأكيد شاعرية شاعرهم وقد شذت قريش عن هذا ، ورشحت زهيرا والنابغة ، والنقاد والرواة متفقون على صحة ذلك .

وكان حماد الراوية يأخذ أخباره من أفواه أصحاب الشأن من الشعراء فقد قال حماد الراوية سألت الفرزدق [٥٩] : (أي الشعراء أشعر في أشياء ثلاثة مختلفة ؟ وأيهم أصدق بيت في الجاهلية ؟ قال : أصدق بيت في الجاهلية قول امرئ القيس :

الله أنجح ما طلبت به والبر خير حقيبة الرجل

قلت : فمن كان منهم أحسن تشبيها وأصدقهم فيه ؟ قال : الذي يقول:

كأن عيون الوحش حول خبائنا وأرحلنا الجزع الذي لم يثقب

قلت : فأي العرب كان أفخر في الجاهلية ؟ قال : الذي يقول :

فلو أن ما أسعى لأدنى معيشة كفاني ولم اطلب قليلٌ من المال

---

[٥٧] ينظر الطبقة الجاهلية الاولى عند ابن سلام .

[٥٨] فحولة الشعراء :٩.

[٥٩] حلية المحاضرة : ٣٢٨/١.

ولكنـــما أســـعى لمـــجد مـــؤثـــــل وقد يدرك المجد المؤثل أمـــثالي)

ألا ترى أن الحكم الذي أطلقه الفرزدق فيما يتعلـــق بالبيـــت الأول ، ونقله حماد الراوية هو صحيح لا غبار عليه ، إذ أن الله سبحانه وتعالى هـــو الذي تتضرع إليه الأكف وتهفو النفوس وبه تتوسل واليه تتوجه دعـــواتهم ، ولم يقل بذلك امرؤ القيس وحده ، بل قال بذلك كل موحد يؤمن بأن الله لا إله غيره ، أما فيما يتعلق بالبيت الثاني ، فهو بيت جميل قدم لنا صورة رائعـــة منقولة من البيئة الفعلية التي يعيش فيها الإنسان العربي ، وإذا ما أمعنا النظر في البيت الثالث سنجده قد رسم الصورة المرسومة في ذهن امـــرئ القـــيس وفكره ، فهو لا يريد مجرد العيش ، يأكل ويشرب وينتظـــر المـــوت الـــذي سيطاله يوما ما ، بل يبحث عن العرش الضائع وعليه أن يفكر فـــي كيفيـــة استرجاع مملكة كندة ، ذلك لأن طموحه يتمثل في أن يكون ملكا من خـــلال استرداد المملكة المنهارة وهذا هو الذي عناه بالمجد المؤثل ، ويرى الـــشاعر أنه مؤهل لذلك ، ولم يكن الفرزدق إلا صاحب رأي تطابق مع واقـــع حـــال امرىء القيس ، ويقتصر حماد الراوية في هذه المسألة كونه إخباريـــا لـــيس غير ، رجل نقل لنا خبرا سمعه من رجل صاحب فكر ورأي ورواية ، وكلنا يعرف أن الفرزدق له دراية كبيرة وإحاطة شـــاملة بـــشعر امـــرىء القـــيس وأخباره ، والرواة والنقاد يؤيدون صحة ذلك ، وقريب من ذلك مارواه ابـــن سلام [٦٠] : (قال بعض جلساء حماد الراوية : بلغني ان للحلقيـــين أرحامـــا منكوسة ، فقال حماد لفتى إلى جنبه : أكتب هذا ، فإن أصح الحديث ما أخـــذ عن أهله) . وهذا هو الصحيح لأن أصحاب الصنعة أعـــرف مـــن غيـــرهم بصنعتهم وهو في الوقت يوثق مرويات حماد الراوية وعلى لسان خصمه .

---

[٦٠] جمهرة الأمثال : ٧٧/١، وجاء الخبر في الاغاني : ٧٩/٦ .

ومن الأخبار المعتمدة عند النقاد والرواة التي نقل خبرها حماد الراوية هو الحديث الذي رواه عن لقاء النابغة الذبياني مع لبيد بن ربيعة في باب النعمان بن المنذر إذ قال حماد الراوية [٦١] : (نظر النابغة الذبياني الى لبيد بن ربيعة وهو صبي مع أعمامه على باب النعمان بن المنذر ، فسأل عنه فنسب إليه فقال له ياغلام : إن عينيك لعينا شاعر ، أفتقرض من الشعر شيئا ؟ قال نعم ياعم ، قال : فأنشدني شيئا مما قلت ، فانشده قوله [٦٢] :

ألم تربع على الدمن الخوالي لسلمى بالمذانب فالقفال

فقال له ياغلام : أنت أشعر بني عامر ، زدني يا بني فأنشده [٦٣]:

طلل لخولة بالرسيس قديمُ فبعاقل فالأنعمين رسومْ

فضرب بيديه الى جنبيه وقال : إذهب أنك أشعر من قيس كلها) .

عند النظر الى البيتين اللذين أنشدهما لبيد بن ربيعة أمام النابغة الذبياني ، سنجدهما يمثلان مطلعين لقصيدتين مشهورتين من شعر لبيد ، وهن في ديوانه ، والقصيدتان تعبران عن شاعرية واعدة لصاحبها ، وفعلا صدق تنبؤ النابغة الذبياني ، إذ أصبح لبيد بن ربيعة من الشعراء الفحول وهو من الشعراء الذين اختارهم ابن سلام في طبقاته [٦٤] ، والخبر الذي نقله حماد الراوية لم يعترض أحد من النقاد أو الرواة على صحته ، بل كانوا يتداولونه في رواياتهم المختلفة .

ونقل لنا حماد الراوية خبرا عن الفرزدق ، وذلك حينما أراد حماد الراوية معرفة البواعث التي تساعد الشعراء على قول الشعر ، فقال

---

[٦١] الاغاني : ١٥ / ٣٧٦ ــ ٣٧٧.

[٦٢] ديوان لبيد بن ربيعة : ١٠٣ .

[٦٣] م.ن : ١٥١ .

[٦٤] هو من شعراء الطبقة الثالثة في طبقات فحول الشعراء : ١٢٣/١ .

الفرزدق [٦٥] : (وهل الشعر إلا في الخوف والرجاء ، وعند الخير والشر) . وبهذا الرأي قال كل رواة الشعر العربي وهو حقيقة ثابتة ، إذ أن الأسباب الأربعة التي حددها الفرزدق أسباب اتفق على صحتها نقاد الشعر العربي .

ومن الأخبار التي نقلها حماد الراوية وعنه أخذها الرواة الآخرون ، ما نقله ابن قتيبة عن حماد الراوية الذي قال [٦٦] : (حدثني سماك بن عبيد راوية الأعشى ، عن الأعشى ، قال قدمت على النعمان بن المنذر وأنشدته [٦٧] :

إليك أبيت اللعن كان كلالها تروحٌ مع الليل التمام وتغتدي

حتى أتيت على آخرها ، فخرج الى ظهر النجف ، فرأيته قد اعتم بنباته ، من بين أحمر وأصفر وأخضر ، وإذا فيه من هذه الشقائق شيء لم أر مثله ، فقال : ما أحسن هذه الشقائق ! احموها ، فحموها فسميت ((شقائق النعمان)) بذلك) . والرواة ينفقون على صحة التسمية وأن هذه الزهور ، ومن شدة إعجاب النعمان بها سميت شقائق النعمان ، وجميع الرواة نقلوا الخبر عن حماد الراوية .

ومن أخبار العصر الأموي نقل لنا حماد الراوية خبرا مفاده أن كُثيرا قال له [٦٨] : (ألا أخبرك عما دعاني إلى ترك الشعر ؟ قلت : تخبرني ، قال : شخصت أنا والأحوص ونصيب الى عمر بن عبد العزيز (رحمه

---

[٦٥] الاغاني : ٣٧/٨ ، ٧/١٨ ، خزانة الادب : ١٠٧ .

[٦٦] الشعر والشعراء : ٢٥٩/١ ــ ٢٦٠ .

[٦٧] ديوان الاعشى : ٥٩ ، ورواية الشطر الثاني في الديوان هي :

الى الماجد الفرع الجواد المحمد

[٦٨] الشعر والشعراء : ٥٠٤/١ ــ ٥٠٧ .

الله)، وكل واحد منا يُدلُ عليه بسابقة له وإخاء ، ونحن لا نشك أنه يشركنا في خلافته ، فلما رفعت لنا أعلامُ خُناصرة ، لقينا مسلمة بن عبد الملك (جائيا من عنده) وهو يومئذ فتى العرب ، فسلمنا عليه ، فرد علينا السلام ، ثم قال: أما بلغكم أن إمامكم لا يقبل الشعر ؟ قلنا : ما وضح لنا الخبر حتى انتهينا إليك ، ووجمنا وجمة ، عرف ذلك فينا ... فأقمنا عنده ((عند مسلمة)) أربعة أشهر يطلب لنا الأذن هو وغيره فلم يؤذن لنا ... فأذن لنا بعدما أذن للعامة ... فقال : يا كُثير ، (إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل)[٦٩] أفي واحد من هؤلاء أنت ؟...وأمر لي بثلاثمائة درهم وللأحوص بمثلها ، وأمر لنصيب بمائة وخمسين درهما) . والخبر متفق على صحته ، فقد رواه ابن عبد ربه الأندلسي[٧٠] ، وكذلك رواه أبو الفرج الأصفهاني بسندين [٧١] ، ولم يشككا بصحته .

أما قصة الحطيئة مع الزبرقان بن بدر وخبرها وعلى الرغم من شهرتها فأن مصدرها هو حماد الراوية فقد ذكر ذلك ابن الشجري في مختاراته . [٧٢]

كان حماد الراوية ذكيا فطنا ذا بصيرة نافذة ، فأراد المعلى بن هبيرة أن يورط حمادا بمماحكة ثقيلة مع الشاعر السليط اللسان أبي العطاء السندي ، لكي يهجو حمادا الراوية فيسخروا منه ويضحكوا ، إلا أن حمادا كان أذكى من المعلى ، فسلبه بغلته التي يعتز بها في رواية طريفة رواها أبو الفرج

---

[٦٩] سورة التوبة ، الاية : ٦٠ .

[٧٠] العقد الفريد : ١٥٢/١ ــ ١٥٤ .

[٧١] الأغاني : ١٤٧/٨ ــ ١٤٩ .

[٧٢] مختارات أشعار العرب : ٤١٠ ــ ٤١١ .

الأصفهاني عن المدائني [٧٣] تمثلت في (أن يحيى بن زياد وحماد الراوية كان بينهما وبين معلى ابن هبيرة ما يكون مثله بين الشعراء والرواة من النفاسة ، وكان معلى بن هبيرة يحب أن يطرح حمادا في لسان شاعر يهجوه ، قال حماد الراوية : فقال لي يوما بحضرة يحيى بن زياد : أتقول لأبي العطاء السندي أن يقول في زج ، وجرادة ، ومسجد الشيطان ؟ قال : فقلت له : فما تجعله لي على ذلك ؟ قال : بغلتي بسرجها ولجامها ، قلت : فعدلها على يدي يحيى بن زياد ، ففعل وأخذت عليه موثقا بالوفاء ، وجاء أبو العطاء السندي فجلس إلينا ، فقال : مرهبا مرهبا ، هياكم الله ! فرحبت به ، وعرضت عليه العشاء ، فقال : لا حاجة لي به ، فقال عندكم نبيذ ؟ فأتيناه بنبيذ كان عندنا ، فشرب حتى احمرت عيناه ، واسترخت علابيه ، ثم قلت : يا أبا العطاء إن إنسانا طرح علينا أبياتا فيها لغز ، ولست أقدر على إجابته البته ، ومنذ أمس إلى الآن ما يستوي لي منهما شيء ، ففرج عني ! قال : هات ، فقلت :

أبنْ لي إنْ سُئلت أبا عطاء ... يقينا كيف علمك بالمعاني ؟

فقال :

خبير عالم فاسأل تجدني ... بها طبا وآيات المثاني

فقلت :

فما اسم حديدة في رأس رمح ... دوين الكعب ليست بالسنان؟

فقال ابو العطاء :

هو الزز الذي إنْ بات ضيفا ... لصدرك لم تزل ك عولتان

قلت فرج الله عنك ، تعني الزج

---

[٧٣] الأغاني : ١٦ / ٧٨ ، الشعر والشعراء : ٢/٧٦٧ .

ومن أخبار حماد الراوية ، روايته لخبر ليلى الأخيلية مع توبة بن الحمير ووفاتها فقال [٧٥] : (أقبلت من سفر ، فمرت بقبر توبة ومعها زوجها ، وهي في هودج لها ، فأقسمت إلا تبرح حتى تسلم على توبة فجعل زوجها يمنعها من ذلك ، وهي تأبى إلا أن تلم به ، فتركها وشأنها ، فصعدت أكمة عليها قبر توبة ، فسلمت عليه ، ثم حولت وجهها الى القوم وقالت : ما عرفت له كذبة قبل هذا ، أليس هو القائل :

ولو أن ليلى الأخيلية سلمت على ودوني جندل وصفائح
لسلمت تسليم البشاشة أو زقا إليها صدى من جانب القبر صائح

وكانت إلى جانب القبر بومة كامنة ، فلما رأت الهودج واضطرابه ، فزعت وطارت في وجه الجمل ، فنفر ورمى بليلى على رأسها فماتت من وقتها ، ودفنت إلى جانبه) ونقل الخبر ابن الجوزي وأضاف عليه [٧٦]، (بعد ذلك نبتت على قبره شجرة وعلى قبرها شجرة ، فطالتا فالتقتا) وأيد الروايتين ابن عساكر في تاريخه[٧٧].

علما أن الرواية رواها كل من : الأصفهاني[٧٨]، والبكري [٧٩] ، والبلوي[٨٠]، وابن حجلة[٨١] فضلا عن ابن الجوزي وابن عساكر ، ولم يطعن

---

[٧٥] مروج الذهب : ١٤٩/٣ .

[٧٦] ذم الهوى : ٤٣٣ .

[٧٧] تاريخ دمشق : ج١٩ / ق ٢٦٢ نقلا عن ديوان ليلى الأخيلية .

[٧٨] الأغاني : ١١ / ٢٤٤ .

[٧٩] سمط اللآليء : ١ / ١١٩ .

[٨٠] ألف باء / ٣١٤/٢ .

[٨١] ديوان الصبابة : ١٨٤ ، في هامش تزيين الأسواق .

أحد بصحة رواية حماد من القدماء ، إلا أن لبعضهم رواية مخالفة لهذه الرواية ، وما ذهب إليه الإخوان عطية في تحقيق ديوان ليلى الأخيلية[٨٢]. خبر ظني ينقصه الإثبات ، إذ يدحضه الرواة الذين أيدوا رواية حماد ووثقوها .

ومن أخبار حماد الراوية ما رواه مروان بن أبي حفصة حين قال[٨٣] : (دخلت أنا وطريح بن إسماعيل الثقفي والحسين بن مطير الأسدي في جماعة من الشعراء على الوليد بن يزيد ، وهو في فُرُش قد غاب فيها ، وإذا رجل عنده كلما أنشد شاعر شعرا ، وقف الوليد بن يزيد على بيت من شعره وقال : هذا أخذه من موضع كذا وكذا ، وهذا المعنى نقله من موضع كذا وكذا من شعر فلان ، حتى أتى على أكثر الشعر ، فقلت : من هذا ؟ فقالوا : حماد الراوية ، فلما وقفت بين يدي الوليد أنشده قلت : ما كلام هذا في مجلس أمير المؤمنين وهو لحنة لحانة ، فاقبل الشيخ علي وقال : يابن أخي ، إني رجل أكلم العامة فأتكلم بكلامها ، فهل تروي من أشعار العرب شيئا ؟ فذهب عني الشعر كله إلا شعر ابن مقبل ، قلت له : نعم ، شعر ابن مقبل ، قال : فأنشد ، فأنشدته قوله :

سل الدار من جنبي حبر فواهب إذا ما رأى هضب القليب المضيحُ

ثم جزت ، فقال لي : قف ، فوقفت ، فقال لي : ماذا يقول ؟ فلم أدر ما يقول ! فقال لي حماد : يابن أخي ، أنا أعلم الناس بكلام العرب ، يقال تراءى الموضعان إذا تقابلا ، وهذا من روائع كلام العرب وموثق في معاجمهم ، وقد أيد القرآن الكريم صحة ذلك في قوله تعالى[٨٤]: (فلما تراءى الجمعان قال

---

[٨٢] ديوان ليلى الأخيلية : ٣٤ ، ويلاحظ الهامش ١٣٢ .

[٨٣] الأغاني : ٦٩/٦ ــ ٧٠ .

[٨٤] سورة الشعراء ، الآية : ٦١ .

أصحاب موسى إنا لمدركون) وذلك بعد أن لحق بهم فرعون وجنوده وأصبحوا متقابلين .

ومن أخبار إحاطته بلغة العرب ، ما رواه الكراني عن العمري عن الهيثم بن عدي الذي قال لحماد الراوية[٨٥]: ألق عليَّ ما شئت من الشعر أفسره لك ، فضحك وقال لي : ما معنى قول ابن مزاحم الثمالي :

تخوف السير منهما تامكا قردا كما تخوف عُود النبعة السفن ؟

فلم أدر ما أقول ، فقال : تخوف : تنقص ، قال الله عز وجل[٨٦]: (أو يأخذكم على تخوف) أي على تنقص) .

كان حماد الراوية منقطعا إلى يزيد بن عبد الملك ولكن هشام بن عبد الملك كان يجفوه ، ولما آلت الخلافة إلى هشام بن عبد الملك خاف حماد الراوية على نفسه من بطش هشام فتوارى عن الأنظار أكثر من سنة ، وبعد أن اطمأن ، أنه غير مطارد من قبل هشام ، خرج إلى الكوفة فصلى الجمعة ، ثم جلس ليستريح فإذا شرطيان يقفان عليه فقالا[٨٧]: (يا حماد أجب الأمير يوسف بن عمر ، فقلت في نفسي : من هذا كنت أحذر ، فقلت للشرطيين : هل لكما أن تدعاني آتي أهلي فأودعهم وداع من لا ينصرف أليهم أبدا ، ثم أصير معكما إليه ؟ فقالا : مالك إلى ذلك من سبيل ، فاستسلمت في أيديهما وصرت إلى يوسف بن عمر ، وهو في الإيوان الأحمر ، فسلمت عليه فرد السلام ، ورمى إليّ كتابا فيه ، بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله هشام أمير المؤمنين إلى

---

[٨٥] م.ن : ٦/٧٠ .

[٨٦] سورة النحل ، الآية : ٤٧ .

[٨٧] الأغاني : ٦/٧٢ــ ٧٤ ، النقاط التي بعد الشعر تدل على أجزاء من الشعر لم اذكره لكي لا أثقل الرواية .

يوسف بن عمر ، أما بعد ، فإذا قرأت كتابي هذا ابعث إلى حماد الراوية من يأتيك به غير مروع ولا متعتع ، وادفع إليه خمسمائة دينار وجملا مهريا يسير عليه اثنتي عشرة ليلة إلى دمشق فأخذت الخمسمائة دينار ونظرت فإذا جمل مرحول ... فقال لي كيف أنت يا حماد وكيف حالك ؟ فقلت : بخير يا أمير المؤمنين ، قال : أ تدري فيم بعثت إليك ؟ قلت : لا ، قال بعثت إليك لبيت خطر ببالي لم أدر من قائله ، قلت وما هو ؟ قال :

فدعوا بالصبوح يوما فجاءت قينة في يمينها إبريقُ

قلت : هذا يقوله عدي بن زيد في قصيدته له ، قال فإنشدنيها ، فأنشدته :

بكر العاذلون في وضح الصب....ح يقولون لي ألا تستفيق .

قال : فطرب ثم قال : أحسنت والله يا حماد ، يا جارية اسقيه ... ، لكن احمد بن عبيد أيد صحة الرواية ، فقال أنه طرب لإنشاده ووهب له الجاريتين ... وأنه أقام عنده مدة فوصل إليه مائة ألف درهم وهذا هو الصحيح ، لان هشاما لم يكن يشرب) . والخبر موثق بروايتين .

قال الرياشي[٨٨]: (طلب المنصور حماد الراوية ... فلما مثل بين يديه ، قال له : إنشدني شعر هفان بن همام بن نضلة يرثي أباه ، فأنشده :

خليلي عوجا إنها حاجة لنا على قبر همام سقته الرواعدُ

.....

قال : فبكى أبو جعفر حتى أخضلت لحيته ، ثم قال : (هكذا كان أخي أبو العباس(رضي الله عنه)) . وهذا يؤكد أن الراوية المشهور في الحفظ عهد المنصور هو حماد الراوية .

---

[٨٨] م.ن،: ٦/ ٧٧ ــ ٧٨ .

كان حماد الراوية في زمن الدولة العباسية مجفوا بعيدا عن مجالسهم ، ذلك لأنه كان منقطعا إلى خلفاء بني أمية ، ولذلك ضاقت عليه الدنيا بما رحبت ولما كانت هناك علاقة مودة تربطه مع مطيع بن أياس الذي كان مقربا عند جعفر بن أبي جعفر المنصور فكلمه بشأنه ، فقال له إئتنا به لنراه[٨٩]، (فأتى مطيع حمادا فأخبره بذلك وأمره بالمسير معه إليه ، فقال له حماد : دعني فإن أيام دولتي كانت مع بني أمية وما لي عند هؤلاء خير... فلما دخل عليه سلم عليه سلاما حسنا وأثنى عليه وذكر فضله ، فرد عليه وأمره بالجلوس فجلس ، فقال جعفر ، أنشدني ، فقال لمن أيها أمير ؟ أ لشاعر بعينه أم لمن حضر؟ . قال : بل لجرير ، قال حماد فسلخ والله شعر جرير كله من قلبي إلا قوله :

بان الخليط برامتين فودعوا أو كلما اعتزموا لبين تجزعُ

فاندفعت فأنشدته إياه حتى انتهيت إلى قوله :

وتقول بوزع قد دببت على العصا هلا هزئت بغيرنا يا بوزعُ

قال حماد : فقال لي جعفر : أعد هذا البيت ، فأعدته ، فقال : بوزع ، أي شيء هو ؟ فقلت اسم إمرأة ، فقال : إمرأة اسمها بوزع ! هو بريء من الله ورسوله ونفي من العباس بن عبد المطلب إن كانت بوزع إلا غولا من الغيلان ! تركتني والله يا هذا لا أنام الليلة من فزع بوزع ، يا غلمان ! قفاه فصفعت والله حتى لم أدر أين أنا ... فلما انصرفت أتاني مطيع يتوجع لي ، فقلت له : ألم أخبرك أني لا أصيب منهم خيرا ، وان حظي قد مضى مع بني أمية) . وهذا الخبر يؤكد أن حماد ضعفت مكانته في عهد العباسيين ولو كانت

---

[٨٩] م.ن : ٦/ ٧٨ ــ ٧٩ .

له ذات المنزلة التي كان عليها عند الأمويين لوصلنا شعر غزير مما كان يحفظ ويروي، فضلا عن صدق أخباره ، وإلا ما الذي حمله على ذكر هذا .

قال محمد بن العباس اليزيدي ، قال حدثني عمي الفضل عن أبيه عن جده عن حماد الراوية قال[٩٠] : (دخلت على المهدي فقال : إنشدني أحسن أبيات قيلت في السكر ولك عشرة آلاف درهم وخلعتان من كسوة الشتاء والصيف ، فأنشدته قول الأخطل :

تـرى الزجاج ولم يطمث يطيف به كأنـه من دم الأجـواف مختضبُ

.....

فقال لي أحسنت وأمر لي بما شرطه ووعدني به فأخذته) . والخبر لا يحتاج إلى تعليق .

وفضلا عما تقدم فان حماد الراوية ذواقة للشعر العربي من الطراز الممتاز ومتمرس في كل فنون الشعر من الرواية إلى النقد إلى الأخبار والى كل ما يتعلق بالشعر فمن روائع ما روي عنه أنه قال[٩١] : (دخلت على الوليد بن يزيد ، وهو مصطبح ، وبين يديه معبد ومالك وابن عائشة وأبو كامل وحكم الوادي وعمر الوادي ، يغنونه ، وعلى رأسه وصيفة تسقيه ، لم أر مثلها تماما وكمالا ، وجارية ، فقال لي : يا حماد أمرت هؤلاء أن يغنوا صوتا يوافق هذه الوصيفة ، وجعلتها لمن وافق صفتها نحله ، فما أتى أحد منهم بشيء ، فإنشدني أنت ما يوافق صفتها ، وهي لك ، فأنشدته قول ربيعة بن مقروم الضبي :[٩٢]

شماءُ واضحة العوارض طفلة كالبدر من خلل السحاب المنجلي

---

[٩٠] م.ن : ٦/ ٨٣ ــ ٨٤ .

[٩١] الأغاني : ١٩ / ٩٢ .

[٩٢] شعراء إسلاميون : ٢٦٦ ــ ٢٦٧ .

وكأنـما ريـــحُ الـقرنفل نشـرها أو حنوة خلطـت خزامي حومـــل
تعتـــاده بفـواقهـــا وجـريـــة وتقيله بسـرار روض مـبـقـــل
وكـــان فـاها بـعد ما طرق الكرى كأسٌ تصفق الـرحيق الـــسلسـل
لو أنها عرضت لأشـمط راهـــب في رأس مـشـرفة الذرى متبـتل

فقال الوليد : أصبت وصفها ، فاخترها أو ألف دينار ، فاخترت الألـف دينار ، فأمرها ، فدخلت إلى حرمه ، وأخذت المال) . وقال أبو الفرج وهـذه القصيدة من فاخر الشعر وجيده وحسنه .

ألا ترى أن هذه القطعة تعبر عن ذوق مثالي لرجل عالم بفنون الـشعر العربي ولم يعترض على صحة القصيدة أحد .

آراء العلماء في شخصيته وعلمه

١ــ قال أبو عمرو بن العلاء[٩٣]: (ما سمع حمادة الراوية حرفـا قـط إلا سمعته). والرجل من الرواة الثقات ومن القراء السبعة ولم يطعن أحـد بروايته ، وتعد روايته هذه شهادة لا ترد لكل من يرمي حمـاد بالنحـل والانتحال والإنحال ، لأن كل مروياته سمعها أبا عمـرو يـا العـلاء ولم يكذبها .

٢ــ قال أبو عمرو الشيباني[٩٤]: (ما سألت أبا عمرو بن العلاء عن حمـاد إلا قدمه على نفسه ، ولا سألت حمادا عن أبي عمرو إلا قدمـه علـى نفسه). ألا ترى أن العالمين احدهما يوثق الآخر وهما على حد سـواء من العلم والأمانة ونحن نخوض في سيرتيهما بالباطل .

---

[٩٣] مراتب النحويين : ٧١ .

[٩٤] م.ن : ٧٢ .

٣ــ قال الهيثم بن عدي[٩٥]: (ما رأيت رجلا أعلم بكلام العرب من حماد) .

٤ــ قال الشاعر الطرماح بن حكيم الطائي[٩٦]: (إنه أذكى الناس وأحفظهم).

٥ــ قال أبو الطيب اللغوي[٩٧]: (إن حمادا الراوية من أوسع الكوفيين رواية وقد أخذ عنه أهل المصريين .) يعني أهل البصرة والكوفة .

٦ــ نقل أبو الطيب اللغوي عن الأصمعي [٩٨] : (إنه روى شعرا عن حماد). والأصمعي من الرواة الثقات ، فكيف يصح أن يروي عن راوية مطعون في صحة مروياته ، وهو القائل[٩٩]: (كل شيء في أيدينا من شعر امرئ القيس فهو عن حماد ، إلا نتفا سمعتها عن أعراب وأبي عمرو بن العلاء) .

٧ــ قال أبو البركات الأنباري[١٠٠]: (خلف الأحمر أول من أوجد السماع بالبصرة ، وذلك أنه جاء إلى حماد الراوية فسمع منه). ، والسماع يعني جواز أخذ رواية الشعر وأخباره ونقده من أفواه الرواة الآخرين .

٨ــ فضلا عن الآراء التي وردت في البحث التي توثق حماد الراوية .

---

[٩٥] م.ن : ٧١ .

[٩٦] الأغاني : ٩٠/٦ .

[٩٧] مراتب النحويين : ٧١ .

[٩٨] م.ن : ٧٢ .

[٩٩] م.ن : ٧١ .

[١٠٠] نزهة الالباء : ٣٧ .

المصادر والمراجع

١ــ الاشتقاق ــ أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد ، شرح وتحقيق عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، مصر .

٢ــ الأغاني ــ أبو الفرج الأصفهاني ، مصورة دار الكتب ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، المؤسسة العربية العامة للتأليف والترجمة والطبع والنشر ، القاهرة .

٣ــ الأغاني ــ نسخة ثانية ، طبعة ساسي .

٤ــ الأمالي ــ اليزيدي أبو عبد الله محمد بن العباس بن محمد بن أبي محمد بن يحيى بن المبارك ، عالم الكتب ، بيروت ، ومكتبة المثنى ، القاهرة .

٥ــ حلية المحاضرة من صناعة الشعر ــ أبو علي محمد بن الحسن بن المظفر الحاتمي ، تحقيق د. جعفر الكناني ، دار الرشيد ، بغداد .

٦ــ الحماسة الشجرية ــ ابن الشجري ، تحقيق عبد المعين الملوحي وأسماء الحمصي ، ١٩٧٠م، بيروت .

٧ــ خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ــ عبد القادر البغدادي ، تحقيق عبد السلام هارون ، ١٣٨٧هـ ــ ١٩٦٧م .

٨ــ ديوان الأعشى الكبير ــ شرحه وقدم له مهدي محمد ناصر الدين ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، ١٤٠٧هـ ــ ١٩٨٧م، بيروت .

٩ــ ديوان امرئ القيس ــ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط٤ ، دار المعارف ، مصر .
١٠ــ ديوان عمرو بن قميئة ــ تحقيق خليل العطية ، دار الحرية للطباعة ، ١٣٩٢هـ ــ ١٩٧٢م، بغداد .
١١ــ ديوان لبيد بن ربيعة ــ دار صادر، ١٣٨٦هـ ــ ١٩٦٦م، بيروت .
١٢ــ ديوان المفضليات ــ الانباري ، ١٩٢٠م، بيروت .
١٣ــ ديوان النابغة الذبياني ــ المكتبة الثقافية ، بيروت ، لبنان .
١٤ــ شرح اختيارات المفضل الضبي ــ التبريزي ، تحقيق فخر الدين قباوة ، دار الكتب العالمية ، ط٢، ١٤٠٧هـ ــ ١٩٨٧م، بيروت .
١٥ــ شرح ديوان الحطيئة ــ برواية ابن السكيت ، تحقيق د. نعمان امين طه ، ط١، ١٩٨٧م، القاهرة .
١٦ــ شرح ديوان زهير بن ابي سلمى ــ صنعة الإمام ابي العباس احمد بن يحيى ابن زيد الشيباني المعروف بـ ثعلب ، تحقيق احمد زكي العدوي ، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب ، لسنة ١٣٦٣هـ .
١٧ــ شرح شواهد المغني ــ السيوطي ، تصحيح وتعليق الشيخ محمد محمود بن التلاميذ التركزي الشنقيطي ، لجنة التراث العربي .
١٨ــ شرح القصائد التسع المشهورات ــ أبو جعفر احمد بن محمد النحاس ، تحقيق د. احمد خطاب العمر ، ١٩٧٣م، بغداد .

١٩ــ شرح الكافية ــ محمد بن الحسن رضي الدين الاستربادي ، مطبعة بولاق ١٢٢٣هـ ، القاهرة .
٢٠ــ شرح المعلقات العشر المذهبات ــ التبريزي ، مطبعة كارلس يعقوب لايل ، طبع دار الأمانة .
٢١ــ شعر زهير بن ابي سلمى ــ صنعة الأعلم الشنتمري ، تحقيق د. فخر الدين قباوة، منشورات دار الآفاق الجديدة ، ط٣، ١٤٠٠هـ ــ ١٩٨٠م ، بيروت .
٢٢ــ الشعر والشعراء ــ ابن قتيبة ، شرح وتحقيق احمد محمد شاكر ، دار المعارف ، ١٩٨٢م، القاهرة .
٢٣ــ شعراء إسلاميون ــ صنعة د. نوري حمودي القيسي ، مكتبة النهضة العربية ، ط٢، ١٤٠٥هـ ــ ١٩٨٤م ، بيروت .
٢٤ــ طبقات فحول الشعراء ــ محمد بن سلام الجمحي ، قراءة وشرح محمود محمد شاكر ، مصر .
٢٥ــ العقد الفريد ــ ابن عبد ربه الأندلسي ، تقديم الأستاذ شرف الدين ، منشورات دار مكتبة الهلال ، ط١، ١٩٨٦م.
٢٦ــ فحولة الشعراء ــ الأصمعي ، تحقيق ش ــ توري ، قدم لها د. صلاح الدين المنجد ، دار الكتاب الجديد ، ط١، ١٣٨٩هـ ــ ١٩٧١م .
٢٧ــ الفهرست ــ النديم أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب اسحق المعروف بالوراق ، تحقيق رضا تجدد ، طهران .

٢٨ـ كتاب جمهرة الأمثال ـ أبو هلال العسكري ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ،ط٤ ، دار المعارف ، مصر .
٢٩ـ المؤتلف والمختلف ـ الآمدي ، عيسى البابي الحلبي ، ١٩٦١م ، القاهرة .
٣٠ـ مجلة المورد ، المجلد : ٣٤ ، العدد : الثالث ، لسنة ٢٠٠٧م .
٣١ـ مختارات أشعار العرب ـ ابن الشجري ، تحقيق محمد علي البجاوي ، دار نهضة مصر ، القاهرة .
٣٢ـ مراتب النحويين ـ ابو الطيب اللغوي ، تحقيق محمد ابو الفضل إبراهيم ، طبعة نهضة مصر ، ١٩٥٥م، مصر .
٣٣ـ مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية ـ د. ناصر الدين الأسد ، ط٣ ، دار المعارف ، ١٩٦٦م ، مصر .
٣٤ـ المصون في الأدب ـ ابو احمد الحسن بن عبد الله العسكري ، تحقيق عبد السلام هارون ، دائرة المطبوعات والنشر ، ١٩٦٠م ، الكويت . المعارف ـ محمد بن قتيبة ، تحقيق وتقديم ثروت عكاشة ، منشورات دار الشريف الرضي ، ط١، ١٤١٥هـ ، مصر .
٣٥ـ معجم الأدباء والمؤلفين ـ ياقوت الحموي ، دار الفكر ، ط٣ ، ١٩٨٠م ، القاهرة .
٣٦ـ نزهة الألباء في طبقات الأدباء ، ابو البركات الانباري ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، مصر .

٣٧ــ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ــ أبو العباس شمس الدين احمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، ط١، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٤٨م ، مصر .